مدينة جنوه الإيطالية ودورها في استمرار الصراع العثماني الاسباني في القرن السادس عشر الميلادي وأثره على بلدان المغرب

د. نزيهة أبوالقاسم الرجيبي
قسم التاريخ – كلية الآداب– الزاوية
جامعة الزاوية

توطئة:

كان للدور الذي مارسته المدن الإيطالية ومدينة جنوة بالخصوص، أثر واضح ومباشـــر في قيام واستمرار الصراع بين الدولة العثمانية وأسبانيا في منطقة البحر المتوسط، حيث عـــاد عليها ذلك الدور بفوائد جمة، إقتصادياً وسياساً، مما جعلها تحرص على استمرار ذلك الصراع أمد أطول، وكان لهذا الدور وحتى الصراع أثره على بلدان المغرب في تلك الفترة، وللإحاطـــة بذلك وجب محاولة إلقاء الضوء على جدور علاقة هذه المدينة بالدولة العثمانية ودول المغرب،

للوصول إلى ما ترتب عن ذلك ورصد المزايا اتي اكتسبتها هذه المدينة، ومعرفة الأساليب التي انتهجتها هذه المدينة للظفر بالمكاسب سواء من الجانب العثماني أو الأسباني وفي حوض المتوسط.

- جذور العلاقات العثمانية الجنوية :

بدأت العلاقات العثمانية الجنوية منذ ظهور العثمانيين في منطقة البلقان وآسيا الصغرى التي امتلكت فيها جنوه مراكز تجارية متعددة، حيث توسع العثمانيون بقيادة عثمان بن ارطغول على حسابها، فأدى ذلك إلى صدامات حربية بين الطرفين وأثر ضعف الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تشكل عازل لصد التوسع العثماني، مما جعل جنوه والمدن الإيطالية الأخرى تدخل في صراع مباشر معهم[1]. ولكن بعد أن أدركت جنوه عدم قدرتها على مواجهة النفوذ العثماني ، قامت بعقد معاهدات معها، ونجح الجنوبيون في كسب ود السلطان أورخان، فكانت مطالبهم تحظى باهتمام السلطان شخصياً، فنجح هولاء في عقد أول اتفاق مع السلطان مراد الأول في الثامن من يونيو 1387م[2].

لكن تلك المعارك التي خاضتها جنوه وحتى المعاهدات التي عقدتها اضطرتها لدفع أموال طائلة إضافة إلى ضعف أسطولها البحري، وكما كان للتنافس والصراع الذي كان بين جنوة والبندقية، والذي انتهى بهزيمتها وعقد صلح تورينو عام 1381م، أثر في زيادة ضعفها. مع تقدم العثمانيين الحربي في فترة حكم كلاً من عثمان بن ارطغول وبايزيد الأول، اضطر أعدائه من الدول الأوروبية والمدن الإيطالية للاعتراف والتسابق لعقد المعاهدات التي تضمن لهم سلامتهم والحصول على امتيازات تجارية، فاستمرت مدينة جنوه على سياسة المهادنة للعثمانيين رغم دخولها في التحالف الأوروبي لغرض حماية القسطنطينية من الحظر العثماني، إضافة إلى

ذلك حاول الجنوبيون الاستعانة بالسلطان مراد الثاني لصد هجوم شنه البناذقة على بعض مراكزهم التجارية سنة 1430م[3].

أما في عهد السلطان محمد الثاني الذي قام بتجديد المعاهدات المعقودة مع جمهورية جنوة، والتي برمت سابقاً مع سلفه مراد الثاني ، ولكن سرعان ما اختلفت العلاقات بين العثمانيين والجنوبيين في القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك بعد ازدياد نفوذ الدولة العثمانية، وسيطرتها على المنافذ البحرية في البحر الأسود وبحر إيجا، وخاصة بعد فتح السلطان محمد الثاني لمدينة القسطنطينية، فأصبحت المواجهة بينه وبين جنوة مباشرة[4].

فمن الواضح أن سبب تغير وتبدل سياسة السلطان محمد الفاتح مع هذه المدينة يعود إلى المشاركة والمساهمة التي قدمتها جنوة لغرض الدفاع عن القسطنطينية، حيث قدمت المساعدات البرية والبحرية لليونانيين سراً، رغم تظاهرها بالعمل على الاحتفاظ والاستمرار في علاقاتها الودية مع العثمانيين، وإبرامها لاتفاقيات معهم، وما إن اكتشف السلطان محمد الفاتح الخطط الجنوية حتى قرر القضاء على المراكز التجارية الجنوية على بحر إيجا، والبحر الأسود، إثر سقوط القسطنطينية إلى عام 1495م، ومن العوامل التي سهلت عليه هذا الأمر تلك الخلافات والانقسامات الداخلية التي ظهرت بين القادة الجنويين على الحكم، إضافة إلى تمكن فرنسا من فرض سيطرتها على مدينة جنوة، وأدخلتها في نطاق نفوذها، مما سهل في تفويض الوجود الجنوي في منطقة الشرق الأدنى[5].

ويتضح هنا أن العلاقات التي قامت بين السلاطين العثمانيين ومدينة جنوة لم تكون مستقرة، ومرد ذلك وقوع أحداث كان لها الأثر البالغ خلال القرن الخامس عشر الميلادي، كسقوط القسطنطينية التي كانت أحداثها سبباً مباشراً في القضاء على مراكز جنوة التجارية في البلقان.

أما عن علاقات جنوة ببلدان المغرب فقد حضت بمكانة مميزة منذ وقت مبكر فارتبطت مع حكومات تلك الدول بمعاهدات منذ قرون عديدة مضت قبل القرن السادس عشر الميلادي، أي منذ عهد المرابطين، حيث تم عقد معاهدة بينهم وبين الجنويين في عام 1137م – 1138 م [6]. وما أن أتم الموحدون سيطرتهم على بلاد المغرب الأقصى حتى بعث حاكم جنوة بوفد* على رأسه أوتو بونودي البيرتيشي في الفترة ما بين عامي 1160 و1161 م. وقد تمكن الوفد الجنوي من عقد معاهدة مع الموحدين لمدة خمسة عشر عاماً تم تجديدها عدة مرا ت[7]. أما في عهد الأسرة المرينية فقد أصبحت علاقات الجنويين مع المغاربة أكثر تقارباً من قبل، مما يؤكد وجود آثار إيجابية في كثير من المجالات أحدثها الوجود الجنوي بالمغرب. هذا في مقابل ما عاد على جنوة من ثمار ربما يفوق قدر استفادة المغاربة حتى أنهم نجحوا في السيطرة على سجلماسة والتحكم في طريق التجارة المؤدي إلى بلاد السودان الغربي (موطن الذهب)، الأمر الذي مكنهم من ضرب عملة ذهبية في أوربا بدلاً من الفضية عام 1252[8] م ، فاستطاع الجنويون بذلك ممارسة تجارتهم البحرية بكل حرية ويسر ، فانشئوا محطات ومراكز تجارية على طول السواحل المغربية ومراكز تجارية على طول تلك السواحل

– الدور الجنوي في الصراع العثماني الأسباني:

بعد دخول البرتغال في مجال المنافسة في البحر المتوسط ومحاولة سيطرتها واحتكارها للطرق التجارية ورغبته في القضاء على النفوذ الجنوى في المنطقة، حيث نظرت للتجار الجنويين كمنافسين وعقبة في طريق تحقيق مطامحها، فبعد استيلاء البرتغال على مدينة سبتة سنة 1415م. وجهوا حملات عسكرية على المراكز التجارية الجنوية الممتدة على ساحل المغرب الأقصى، كطنجة والعرائش وأصيلة سنة 1514، كما هاجموا ميناء حاحة، واستولوا

على بعض السفن الجنوية الراسية في الميناء عام 1517م[9]، مما دفع بالتجار الجنويين لترك ذلك الميناء والمراكز التجارية الأخرى، ولعل هذا العامل من أهم الأسباب التي دفعت بهم لمحاولة البحث عن حليف قوي يحتمون به، فوجدو في اسبانيا خير من يقوم بذلك .

إضافة إلى الفراغ الذي تركه مسلمو الأندلس أثر خروجهم من الأندلس بعد سقوط غرناطة 1492م، وطردهم 1609 بعد قرار الملك فيليب الثاني لطرد من تبقى منهم، حيث مارس هؤلاء تربية الأغنام والمواشي، ويعد ذلك مصدراً مهم لإنتاج الصوف الذي اعتمد عليه الاقتصاد الاسباني[10].

ومن حسن حظ الجنويون في ذلك الوقت تظافر العديد من الأسباب التي دفعت بأسبانيا لقبول التجار الجنويين، فعلى سبيل المثال كان الأسبان يرغبون في امتلاك أسطول بحري يساهم في تحقيق رغبة ملوكهم في الهيمنة على منطقة البحر المتوسط وإكمال بسط سيطرتها على بلدان المغرب امتداد لسياستها التي انتهجتها منذ أمد بعيد إضافة إلى استغلال هذا الأسطول في حركة الكشوف الجغرافية . إذا كانت الظروف مواتية لاستيعاب الجنويين من قبل الأسبان فسمحوا لهم باستخدام موانيهم تعويض عن تلك التي فقدوها فأجنى الجنوييون بذلك مكاسب جمة، فأسهموا في العمل على الربط بين اسبانيا والعالم الجديد تجاريا حيث قاموا بنشاط تجاري واسع ومكثف فاستطاعوا احتكار التجارة وبالأخص تجارة الذهب وكل هذه الأسباب والمحفزات دفعت بجنوه للعمل على تشجيع الأسبان على خوض الصراع ضد العثمانيين في غرب المتوسط والقيام بكل ما يمكن فعله لاستمرار هذا الصراع وإطالة أمده،فقاموا بتقديم العون لاسبانيا بغية ضمان مصالحهم ومكاسبهم التي تحصلوا عليها من احتكار تجارة الذهب. ومن جهة أخرى عد الأسبان الجنويين حليف رئيسي في الصراع مع العثمانيين في غرب البحر المتوسط ، ونظرا لحاجتهم لهم في بناء الأسطول الاسباني مما زاد في اعتمادهم عليهم متغاضين عما لحق بهم من خسائر

تجارية اثر احتكارهم لتجارة الذهب، فعمل الجنويون على تطوير الأسطول الاسباني فشارك في بناءه عدد كبير من امهر صناع السفن الجنويين فقاموا بصناعة عدد لأبأس به من السفن الحربية الضخمة[11] . وساهموا مساهمة فاعلة في ذلك الصراع الى جانب الأسبان في كثير من الأحيان الأمر الذي رجح كفت حلفائهم وحسم الصراع لصالحهم في مواقع عديدة .

- **بدايات الصراع العثماني الاسباني في حوض البحر المتوسط .**

في عام 1487م أرسل السلطان العثماني سليم الأول أول حملاته العسكرية إلي السواحل الاسبانية بقيادة الريس كمال ، اثر استغاثة أرسلها عبد الله بن الأحمر أخر ملوك غرناطة فجابت هذه الحملة السواحل الاسبانية ووجهت العديد من الضربات الخاطفة للسفن الراسية في بعض الموانى هناك[12].

ويمكن القول إن الموقف العثماني في هذا الصراع اتسم بالدفاع أكثر من الهجوم، نظرا لكثافة الاعتداءات وتكررها من الجانب الاسباني على سواحل الشمال الإفريقي منذ عام 1492م ويعود ذلك لاعتماد اسبانيا خير طريقة للدفاع هي الهجوم. ورغم تكرر نداءات الاستغاثة التي وجهها الأندلسيون للأستانة قبل ذلك التاريخ، إلا إن انشغال السلطان بحروبه مع الصفويين دفعه إلى الاكتفاء بتقديم الدعم المادي المتمثل في العتاد الحربي من أسلحة وذخائر للمجاهدين في تلك المنطقة كالأخوين بربروسا .

استغل الأسبان سوء الأوضاع السياسية في بلدان المغرب والفوضى التي عاشتها البلاد، فاحتلوا العديد من المدن الساحلية كمدينة مليلة المغربية ووجهوا حملات استطاعوا من خلالها احتلال المرسى الكبير سنة 1505م كما استطاع القائد بدرو نافارا Podro Navarre بعد توليه قيادة العمليات العسكرية في غرب المتوسط احتلال حجر باديس و بجاية ووهران عام 1509م

ودمر ميناء طرابلس واحتلها سنة1510م . إضافة إلى إرغام بني زيان حكام الجزائر على دفع الجزية ،واحتلال موانى غرب الجزائر سنة 1512م[13] .

لردع هذا التوسع الاسباني السافر في المنطقة،أخذت حركة الجهاد البحري في غـرب البحر المتوسط تشتد في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، حيث ظهـر ريـاس بحر كان لجهودهم الأثر الواضح في صد الاعتداءات الاسبانية على السواحل المغربية فكـانوا حجر عثرة في وجه تقدمها، أمثال الأخوين عروج وخير الدين بربروسا، أللذين مثلا حلقة وصل بين السلاطين العثمانيين ومسلمي الأندلس في محاولة لاتقادهم من سياسة التنكيل التـي اتبعهـا الأسبان ضدهم من جهة،ومحاولة تحرير السواحل المغربية وحمايتها من خطر الأسبان المحدق بها من جهة أخرى.

فأتخذ الأخوين بربروسا جزيرة جربه قاعدة لانطلاق نشاطهم الجهادي 1510م فـذاع صيتهم وتمكنوا من استرداد ميناء جيجل بعد استغاثة زعماء القبائل الجزائريين. وقام بعدها بنقل نشاطه من جربه إلى هذا الميناء وتمكن من صد العديد من الهجمات الاسبانية، وكما أخذ يهـدد الحصون التي أنشاها الأسبان على السواحل المغربية، فستطاع بسط سيطرته على اغلب مناطق الجزائر حتى وصل إلى تلمسان عاصمة الزيريين سنة 1517م.وبعد وفاة عروج باشا خلفه أخوه خير الدين الذي تمكن من الإمساك بزمام الأمور بعد التنسيق مع الدولة العثمانية، التي أرسلت له ألفي جندي انكشاري، وأعطاه الموافقة على تجنيد شباب الأناضول[14] .

ونستطيع القول إن هذا التعامل والتقارب يعد البادرة الأولى لانضواء الجزائـر تحـت السلطة العثمانية، فعدت قاعدة انطلاق لمواجهة الخطر الاسباني الذي تحالف مع الحكام المغاربة أمثال الزيانيين والحفصيين الذين عملوا ما في جهدهم للمحافظة على سلطتهم. فاضطر بربروسا إلى مجابهة هذه التحالفات بكل قوة ، واستطاع مواجهتها وهزيمتها شر هزيمة فأصـبحت هـذه

المنطقة في عهده خط المواجهة والدفاع في حوض البحر المتوسط،وعلى اثر تلك الانتصارات التي أحرزها لقب بقبودان باشا،حيث استطاع مد نفوذه على الجزائر وتونس وتوحيدها لتكونا قوة ضاربة تصد الهجوم الاسباني[15].

وإضافة إلى ذلك انضمت مدينة طرابلس إلى هذه المدن بعد تحريرها على يد القائد مراد أغا عام 1551م .فاستلمت دورها في حركة الجهاد البحري كدولة لها مكانتها في المنطقة.

واستمر الصراع القائم بين العثمانيين والأسبان الذين حاولوا جاهدين بشتى السبل العودة للسيطرة على بلدان المغرب لطرد العثمانيين فحاولوا في 1573م احتلال تونس لكن العثمانيون بقيادة علج علي تمكنوا من إخراجهم منها في 1574م[16].

أما عن دور الجنويين في الصراع الدائر بين العثمانيين والأسبان فالظاهر إن الجنويين و وقفوا إلى جانب الأسبان في هذا الصراع. وذلك بتقديم المساعدة والمساندة،والعمل على استمرار وإطالة أمد الصراع بين الدولتين، وهو ماعاد عليهم بمكاسب جمة. ويمكن القول إن الدور الذي قام به الجنويون في ذلك الصراع تمثل في شخصية شخص يدعى اندريا دوريا الجنوي،الذي انحاز إلى الأسبان في صراعهم مع العثمانيين ،حيث تقرب من الملك شارل الخامس الذي أطلق عليه لقب أدميرال،وهي رتبة أمير البحر ، و أتاح له الفرصة ليصول ويجول في منطقة البحر المتوسط بغية حماية ممتلكاته هناك نيابة عنه، وتمكن اندريا دوريا من الاستفادة من الظروف التي سادت المنطقة والمتمثلة في المنازعات بين المجاهدين الأندلسيين الذين عملوا على الانتقام من عدوهم الذي كان سببا في طردهم ألا وهم الأسبان والعثمانيين. إضافة إلى الأسبان الذين عملوا بكل ما أتوا من قوة للحفاظ على ما أحرزوه من مكاسب وانتصارات في غرب البحر المتوسط ،فكان لجنوه متمثلة في شخص اندريا دوريا دور فاعل في الصراع العثماني الاسباني في القرن السادس عشر الميلادي [17]. ما يوكد فعالية هذا الدور في

الصراع العثماني الإسباني خلال القرن أنه على الرغم من وجود فترة سلم استمرت من عام 1545م حتى عام 1550 م بين العثمانيين والأسبان نتيجة لعقد الهدنة بينهما في عام 1545م ،فإنه ــ فيما يبدو ــ استمرت العمليات الحربية، حتى أن أحد المؤرخين أشار إلى ارتفاع عدد السفن التابع لأسطول أندريا دوريا إلى 39 سفينة في عام 1552 م، مما يوضح استمرار العمليات الحربية التي تطلبت زيادة الأسطول التابع لأندريا دوريا الجنوي.ولم يقتصر دور أندريا دوريا الجنوي على المساهمة المباشرة في العمليات الحربية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، بل كان يمارس مهامَّ متعددة تمثلت في القيام بنقل الجنود الأسبان إلى ميادين الحرب والصراع. ومن ذلك تلك العملية التي قام بها في عام 1550 م، حيث نقل 20 ألف جندي إسباني من سواحل نابولي لمهاجمة مدينة المهدية التونسية؛ كما لم تقتصر مساهمات جنوة على أسطول أندريا دوريا فحسب، بل لوحظ وجود سفن تابعة لبعض الأسر الجنوية تقوم بممارسة الدور نفسه مثل أسرة تجرون وجرمالدي. حتى أنه كان من بين أفراد عائلة دوريا من له دور كبير في الصراع الإسباني العثماني مثل جيان دوريا ابن أخي أندريا دوريا الذي كان يمتلك 13 سفينة وشارك في نقل عدد كبير من الجنود الألمان والإيطاليين للقتال تحت اللواء الإسباني ضد درغوث باشا للسيطرة على مدينة جربة التونسية بين عامي 1559 م و1560م. فقد لوحظ ميل جنوه الشديد لمساندة إسبانيا في صراعها ضد العثمانيين وتقديم كافة الوسائل الممكنة لاستمرار ذلك الصراع، لما كان يعود عليها من مكاسب عظيمة القيمة.

غير أن الأمر الأكثر أهمية يتمثل في ما عاد عليها من فوائد كبيرة، تمثلت في استمرار الوجود الجنوي المؤثر في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد أفول نجم القوتين العظيمتين المتمثلتين في العثمانيين والأسبان منذ أواخر القرن السادس عشر على أثر الهزيمة التي تكبدتها إسبانيا على يد إنجلترا، وما نتج عنها من تحطيم الأسطول الإسباني، وكذلك قيام الحركات

الانفصالية ضد السيطرة العثمانية المباشرة في تونس. كل ذلك أدى إلى فتح المجال وإتاحة الفرصة كاملة أمام جنوه للإسهام بنصيب كبير من أجل تحقيق نهضة حضارية في جل الميادين والمجالات، ولاسيما المجال الاقتصادي والعمراني والثقافي[18].

نتائج الدور الجنوي في الصراع العثماني الاسباني على بلدان المغرب:

استطاع الجنوبيون الاستفادة من قدم وعمق علاقاتهم ببلدان المغرب إضافة إلى معرفتهم الدقيقة بأوضاعها وأحوالها ،فكان لذلك أثره الواضح في حجم المكاسب والامتيازات التي عادت عليهم بالنفع الكبير،حيث حاولت جنوه وكما سلف ذكره تعويض خسارتها لأهم مراكزها التجارية في البلقان بإحياء وزيادة نفوذها التجاري في منطقة الشمال الإفريقي ،وكان للمتغيرات والأحداث السياسية في غرب البحر المتوسط ،وتردي أوضاع البلدان المغربية التي اتسمت بالفوضى العارمة التي عمت دولها قاطبة ،الفضل في إتاحة الفرصة لجنوه للتغلغل وتثبيت وجودها في المنطقة،إضافة إلى عمل اسبانيا على تقويض الوجود الإسلامي في بلاد المغرب،بعد سيطرتها على الأندلس بسقوط غرناطة 1492م بحجة تعقب مسلمي الأندلس،فشنت حملات عسكرية بهدف السيطرة على بلدان المغرب،والقضاء على الإسلام والمسلمين،ونجاحها في احتلال العديد من المدن الساحلية الممتدة من المغرب الأقصى حتى طرابلس.فكل هذه الأحداث والمتغيرات استطاع الجنويون الاستفادة منها واستثمارها لزيادة نفوذهم في المنطقة ،فعلى سبيل المثال اثر المغاربة التعامل مع الجنوبيين ،على تعاملهم مع الأسبان والبرتغاليين ،لمعرفتهم بنوايا وأطماع هولاء تجاه بلدانهم. وكما قام التجار الجنوبيين بإقراض بعض حكام دول المغرب قروض مالية اثر تردي الأوضاع الاقتصادية،وبتزويدهم بالأسلحة والمعدات الحربية .وتمت الاستعانة بهم في بناء الأساطيل البحرية في تلك الدول، فاشرف مهندسوهم على

بناء السفن نظرا لخبرتهم في هذا المجال، مقابل منحهم حرية التنقل والتجارة في الموانى المغربية [19].

كما كان للجنويين اثر في البلاد المغربية في العمارة ، حيث استعان الكثير من الحكام البنائين الجنويين كما فعل السلطان السعدي احمد المنصور عند بنائه لقصره الذي استورد له الرخام من جنوة، واستبدله بكميات كبيرة من السكر المغربي. كما إن التأثيرات الجنوية شملت جل البلدان المغربية من المغرب الأقصى وتونس والجزائر وليبيا . حيث هاجرت أعداد كبيرة من الجنويين إلي تونس نظرا لقربها من جنوه فحملت هذه الهجرة الفنيين والصناع والأطباء والمهندسين الذين تركوا أثرهم الواضح في المجتمع التونسي . وتعود كثرت الوافدين إلى قرب تونس من هذه المدينة، فنجح الجنويون في توطيد علاقاتهم بالحكام والتجار التونسيين . وكما تجلى أثرهم بوضوح في انتشار اللغة الايطالية في البلاد حتى غدت المراسلات والخطابات الرسمية الصادرة من باشاوات تونس إلى القناصل الأجانب كانت تكتب باللغة الايطالية ، إضافة إلى استعانة بآيات تونس بأطباء ومستشارين جنويين كحمودة باشا الذي عين الطبيب الجنوي مندريسي طبيبه ومستشاره الخاص. أما الجزائر والتي عقدت معها جنوة معاهدات تجارية فتحت الطريق أمامهم للاختلاط بالجزائريين تجاريا وثقافيا، فعلى سبيل المثال كان الكثير من تجارها يتوجهون لبلاد المغرب بغية تعلم اللغة العربية للتعامل بها في معاملاتهم ومع مختلف البلاد العربية وكما تأثر هولاء بعادات وثقافة ، تلك المنطقة[20] .

أما طرابلس فلم تكن بمنء عن وجود وتأثير الجنويون فيها حيث قاموا بعمليات وساطة تجارية، بين الطرابلسين وبعض التجار الأجانب، إلى جانب مشاركتهم في بناء السفن.

ونستخلص مما سبق أن علاقة مدينة جنوه ــ مع العثمانيين في الفترة السابقة على القرن السادس عشر، شكلت المنطلق الأساسي والمحور الرئيس الذي ارتكز عليه دورها في الصراع

العثماني الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال السادس عشر الميلادي. ومن ثم أتاح ذلك الدور الفرصة كاملة أمام الجنويين للتأثير في بلاد المغرب العربي تأثيراً مباشراً شمل جُل مناحي الحياة. لذا حاول هولاء تدعيم علاقاتهم وتقوية صلاتهم ببلاد المغرب العربي في غرب البحر المتوسط ، وعندما بدأت المواجهات الحربية بين العثمانيين والأسبان في مطلع القرن السادس عشر، وجد الجنويون أنفسهم مضطرين إلى الانضواء تحت اللواء الإسباني في الوقت نفسه الذي حرصوا فيه على تثبيت أقدامهم في بلاد المغرب العربي للاستفادة من انعكاسات ذلك الصراع. ومما لاشك فيه أن الجنويين تمكنوا من التأثير في أوجه الحياة المختلفة لبلاد المغرب لكونهم محايدين. وعلى الرغم من العلاقات المبكرة التي ربطت جنوه ببلاد المغرب ، فإن الدور الذي أدته جنوة في الصراع العثماني الإسباني عُد دافعاً كبيراً لفعالية التأثيرات الجنوية خصوصاً، والإيطالية عموماً في بلاد المغرب. وربما يتيح هذا البحث المجال إلى مزيد من الجهد لإماطة اللثام عن جوانب أخرى من التأثيرات التي تركتها بقية المدن الايطالية كالبندقية وبيزا في بلاد المغرب عامة.

الهوامش:

(1) و . هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، أربعة أجزاء، ترجمة: أحمد رضا محمد رضا، مراجعة د. عز الدين فودة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ج 3، ص. 116 ــ 117.

(2) عبد العزيز الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982،ص. 109.

(3) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، المرجع السابق ، ص،117.

(4) عبد العزيز الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، المرجع السابق، ص 109

(5)- جلال يحيى، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1989، ص. 57.

(6) يلماز أوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، جزءان، ترجمة عدنان محمود سليمان، مراجعة د. محمود الأنصاري، الطبعة الأولى، تركيا،استانبول،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، 1408 هـ/ 1988 م، ج 1، ص. 101.

* كانت جنوة اول جمهورية ايطالية تبعث بوفد للسلطان الموحدي عبدالمومن بن علي عام 1161م وابرمت معه معاهدة تقرردوام السلم لمدة 15عاما وبنوذ اخرى . مريم محمد جبودة، التجارة في افريقية وطرابلس الغرب خلال العصرين الموحدي والحفصي، جامعة الزاوية، ليبيا،2013م

(7) و. هايد، المرجع السابق، ص. 183.

(8)عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ العربي العثماني من 1453 إلى 1918 م، سيرميدي زغوان، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، مارس 1994، ص ص. 33 ــ 37 .

(9) Damios de Gais, Les portugais au Maroc de 1495 à 1521, trad. R. Ricard, Rabat, 1947, pp. 215-216.

(10)Corla Rahn Philips, « The Spanish Wool trade 1700 - 1780 », in The journal of Economic History, 1982, IV, pp. 770 - 775.

(11) عبد الرحمن عبد الله الشيخ، «دور المسلمين في تشكيل اقتصاد إمبراطوريتي جنوة والبندقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر»، المجلة التاريخية المغاربية (للعهد الحديث والمعاصر)، العدد 43 ــ 44، تونس، نوفمبر، 1986، ص. 159.

(12) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص. 194 ــ 195.

(13) شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي في العصر الحديث (ليبيا ــ تونس ــ الجزائر ــ المغرب)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977، ص. 81.

(14) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ج 3، دون تاريخ، ص. 113ـ

(15) كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب، نبيه فارس ونبيل بعلبكي، دار العلم للملايين،بيروت، 1988م، ص453

(16) جلال يحيى، المغرب الكبير. العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966،ص. 19

(17) بول كولز، العثمانيون في أوروبا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص. 211.

(18)R. Ricard, « Contribution à l'étude du commerce génois au Maroc durant la période portugaise (1415 - 1550) », in Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, T. III, 1937, p. 70.

(19) رشاد الإمام، سياسة حموده باشا في تونس 1782 ــ 1814، منشورات الجامعة التونسية، 1980، المجلد XX، ص. 80.،

عبد الجليل التميمي، «مع أصول الحوار العربي ــ الأوربي: الاتصالات الثقافية الأولى بين أوروبا والعالم العربي في العصر الحديث»، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 65 ــ 66، 1992 م. 687، رشاد الإمام، سياسة حموده باشا في تونس 1782 ــ 1814، منشورات الجامعة التونسية، 1980، المجلد XX، ص. 80.

(20) عبد الجليل التميمي، « المرجع السابق، الاتصالات الثقافية الأولى بين أوروبا والعالم العربي في العصر الحديث،ــ ص 66.